أغاني النساء التراثية وتأثيرها على الأغاني الأردنية المعاصرة

بحث مقدم من

أ.د محمد غوانمه

جامعة اليرموك/ الأردن

إلى

مؤتمر الموسيقى العربية الثاني والثلاثين

دار الأوبرا المصرية (٢٠٢٤م)

أغاني النساء التراثية وتأثيرها على الأغاني الأردنية المعاصرة

أ.د محمد غوانمه
(جامعة اليرموك/ الأردن)

مقدمة

الغناء النسائي الأردني غناء جميل بسيط، وهو يشكل جانباً أساسياً مهماً من جوانب الغناء التراثي الأردني، فقد شاركت المرأة الأردنية مشاركة فعالة في هذا الغناء، فالنساء هن عمود أغاني الأفراح، وهن اللائي يبدأن الأفراح ويؤدين طقوسها الأولى والأخيرة، وقد انفردت المرأة الأردنية بالكثير من ألوان الغناء الشعبي الخاص بها مثل: المهاهاة، والهدهدة، والتراويد، والفاردة، والبكائيات وغيرها.

والأغنية النسائية الأردنية بمفهومها الشامل هي عنصر من عناصر الثقافة الشعبية في الأردن، لا بل إنها تشكل هوية وطنية منبعثة من أعماق التاريخ الذي انصهرت في بوتقته مجموعة الثقافات الدارسة على أرض الأردن، حتى أصبحت هذه الأغنية أحد ملامح التاريخ الراسخ على هذه الأرض، فمادتها الغنائية هي ناتج الواقع البسيط المعاش، وهي تحفل بالعديد من الظواهر الشعبية وترتبط بها وتعبر عنها بشكل مباشر، حتى أن كثيراً من هذه الأغاني صدر في شكل حِكَمٍ مستقاة من البيئة الشعبية بتقاليدها وقيمها وعاداتها المتوارثة عبر السنين. وعليه، فقد وجد الباحث أن أغاني النساء التراثية في الأردن بما تشتمل عليه من كلمات جميلة وألحان عذبة وسياق اجتماعي راسخ الجذور تشكل منهلاً ثرياً وسهلاً خصباً يغريه للتعمق في دراستها من جوانبها الفنية المختلفة.

مشكلة البحث

لم يسبق أن أجريت دراسات تحليلية لأغاني النساء التراثية في الأردن، ولذلك لم نجد أن هنالك مدونات موسيقية خاصة بهذا الغناء، مما يجعلنا نشك في أن بعضاً من أغاني النساء الأردنية قد ضاع ولاسيما أن انتقاله من السلف إلى الخلف قد تم بطريقة شفاهية، ولذلك فإن الحاجة ماسة لمثل هذه الدراسة للتعرف إلى أغاني النساء التراثية الأردنية من حيث: مكوناتها ومضامينها وأغراضها وما تتمتع به من ميزات فنية.

أهداف البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف إلى مكونات أغاني النساء التراثية في الأردن.
٢. التعرف إلى موضوعات أغاني النساء التراثية في الأردن.
٣. التعرف إلى وظائف أغاني النساء التراثية في الأردن.
٤. التعرف إلى أثر أغاني النساء التراثية في الأردن على الأغاني الأردنية المعاصرة.

أهمية البحث

إن التعرف إلى أغاني النساء التراثية في الأردن يتطلب التعرف إلى مضامينها وأغراضها ومكوناتها البنائية شعرياً ولحنياً وإيقاعياً، وذلك ما يمكننا من التعرف إلى الميزات الفنية لهذه الأغاني وتأثيرها على الأغاني الأردنية المعاصرة، باعتبارها أداة أساسية يمكن أن تساهم في رسم صورة صادقة للمجتمع الأردني، وعليه فإنه يمكن لهذه الدراسة أن تكون أساساً لدراسات أخرى بإمكانها تسليط الضوء على الدور الأساسي للمرأة الأردنية في شتى مناحي الحياة الأردنية: الاجتماعية والإقتصادية والسياسية وغيرها من خلال التعرف إلى الأغنية النسائية الأردنية.

مكونات الأغنية النسائية

الكلمة: تعتمد الأغنية النسائية التراثية على وحدة المقطع، فعند غنائها أو سماعها نحس أن كل مقطع من مقاطعها يكوّن وحدة مستقلة، بحيث لا تخسر الأغنية شيئاً فيما لو قدمنا مقطعاً أو أخّرنا آخر.

وأغاني النساء التراثية في الأردن تخضع لقاعدة الهدف والوظيفة، فهي نتاج جماعي واسع المكان والزمان، يهدف إلى إرضاء أكبر عدد ممكن من الناس، ولذلك فإنها تمتاز بالبساطة والسهولة، كما أنها تمتاز بإمكانية حفظها وانتشارها بسرعه بين عامة الناس (يونس،١٩٨٧، ص٢٣).

ولغة الأغنية النسائية الأردنية هي لغة الكلام الشفاهي الدارج والمتداول بين الناس في الحياة اليومية، وهي في جوهرها وليدة اللغة العربية الفصحى، كما أنها وسيلة اتصال ناجحة، والأفراد والجماعات قادرون على استيعابها وفهمها بكل كفاءة، وهي تستغني عن الإعراب، أي أنها لا تراعي حركاته كما في اللغة الفصحى، وتميل إلى تسكين أواخر الكلمات (حجاب، ٢٠٠٣، ص ٤١).

اللحن: تتميز الأغاني النسائية التراثية في الأردن بقصر جملها اللحنيه، إضافة إلى أنها لا تلتزم بعدد معين من الحقول الموسيقية (الموازير)، فمعظمها تتكون من جملة موسيقية واحدة تتشكل

من عدد محدود من الحقول الموسيقية، فبعضها يتكون من أربعة حقول وبعضها من ستة وربما ثمانية، ومن المعتاد أن تتكرر الجملة الموسيقية في لحن هذه الأغاني بكلمات غنائية أخرى، ورغم رتابة التكرار إلا أنها لا تخلو من حلاوة وجاذبية في ألحانها، فهنالك انسجام وتوافق كبير بين كلمات الأغنية ولحنها.

ويمكننا القول بأن نغمات الأغنية النسائية تتصف بالتسلسلية سواء منها ما كان لحنه صاعداً أو هابطاً، كما أن ألحانها بصفة عامة تخلو من القفزات اللحنية الكبيرة ما عدا تلك القفزة اللحنية الواضحة في غناء المهاهاة.

الإيقاع: تتسم أغاني النساء بتعدد أوزانها وإيقاعاتها، وهي أغان تمتلك تنوعاً إيقاعياً واسع المدى، وذلك ما أتاح للمرأة أن تنظم أغانيها بكل بساطة ويسر، وبما يتلائم ومتطلبات الخفة والرشاقة أحياناً، أو بما يتلائم مع متطلبات البُطءِ والتَّطويل أحياناً أخرى، ولهذا فقد اختارت المرأة القوافي خفيفة الظل عذبة الرنين، فجاءت أوزانها وإيقاعاتها حلوة الصياغة رقيقة البناء متنوعة القوافي، وكل ذلك في إطار اعتماد المرأة في نظم أغانيها على الوزن اللحني الإيقاعي للقالب الذي تغنيه.

وإيقاع الأغنية النسائية الأردنية واضح بيّن، وهو ذو حيوية ومرونة، وفيه زخرفة جميلة أخّاذة، تنوعت أوزانه بين الثنائية والرباعية وغيرها، مع الإشارة إلى أن بعضاً من القوالب الغنائية النسائية لا تنضبط في إيقاع موزون وإنما هي أغان حرة طليقة تخضع لذوق المرأة وإحساسها ساعة الغناء، وذلك ما يظهر جلياً في بعض القوالب الغنائية النسائية مثل: المهاهاة والتهاليل والنواح وغيرها.

الأداء: من الطريف أن نذكر أن المرأة الأردنية إذا فرحت غنت وإذا حزنت غنت، وهي ذواقة للغناء منذ طفولتها، وتحرص على أن تتوارث بناتها أغانيها تماماً كما يحرص الرجل على أن يتوارث أبناؤه أغانيه. ولا يشترط لأداء الأغاني النسائية في الأردن أية تجهيزات فنية من مسرح أو إضاءة أو مقاعد أو غيرها، بل إنها يمكن أن تُغنى في أي موقع مناسب لطبيعة الحياة الاجتماعية التي تعيشها إذ يكفي وجودها في بقعة صغيرة من الأرض تصلح للرقص والغناء (حداد، ٢٠٠٤، ص ٤٠).

المصاحبة العزفية: من المؤكد أن الآلات الموسيقيه قد صاحبت الإنسان منذ فطرته الأولى، وقد تطورت تلك الآلات مع الإنسان وانتقاله من بدائيته الآفاق الحضارة عبر آلاف السنين. وقد استخدم الإنسان تلك الآلات – التي لم تكن سوى مجرد أدوات بسيطة تنبعث منها أصوات نفخها وصفيرها – من أجل درءِ أخطار بعض الظواهر الطبيعية والأرواح الشريره التي كان يخشاها، واستعطاف عوامل الخير والسعادة واستعجال تحقيق بعض مآربه.

الرقص: تشترك نساء الريف الأردني في حلقات الرقص الشعبي كجماعة عادة، وذلك هو الأصل لديهن، وفي شمال الأردن تشترك النساء مع الرجال في رقصة واحدة هي دبكة (الْحَبْل المُوَدَّعْ) التي تجتمع فيها بنات العشيرة ونسائها مع شباب العشيرة ورجالها في شكل حلقة جميلة تتشابك فيها أيدي البنات مع الشباب، مثل حبات الودع الملونة على أنغام غناء الدَّلْعونَا أو زَرِيفِ الطُّول أو الجَفْرَة وغيرها، وبمصاحبة إحدى الآلات الموسيقية الشعبية، التي يضبط أنغامها خبط أقدام الراقصين والراقصات على الأرض في إيقاع نشط متسق يثير حماسهم ويشدهم إلى مزيد من الحيوية والفرح (أبو الرب، ١٩٨٠، ص١٥- ١٨).

أما الرقص لدى المرأة البدوية فيكاد يكون محدوداً في إطار جماعة النساء في الأفراح، أللهم إلا في رقصة السَّامِر التي تشترك فيها راقصة واحدة تدعى (الحَاشِي) وسط حلقة السامر المكونة جميعها من الرجال، حيث تقوم الحاشي بأداء هذه الرقصة وسط حلقة الرجال وكأنها تقوم بدور مجموعة النساء أو بالنيابة عنهن، لتعبر عن فرحهن وتعكس مشاعرهن وما يعتمل في نفوسهن من رغبات، وذلك من خلال حركات رشيقة تسمى (أَلِمْحوشَاة)، التي تؤديها الحاشي بكل براعة وكبرياء على إيقاع تصفيق أيدي المشاركين بالغناء خلف الشاعر القاصُود، الذي يدير هذه الحلقة بأشعاره الجميلة على لحن غناء السامر بمطلعه المشهور التالي:

هَـــلا وْ هَـــلا بَـــكْ يـــا هَـــلا لا يـــا حَلِيفِـــي يـــا وَلـــدْ

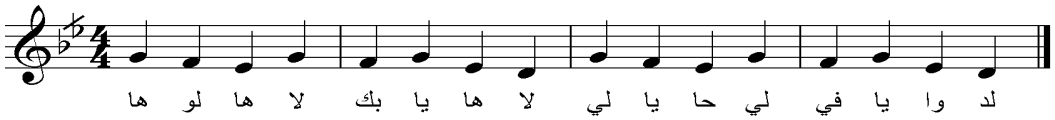

مدونة موسيقية رقم (١)

مطلع غناء السَّامِر

وظائف الأغنية النسائية

الوظيفة النفسية: الأغنية النسائية تشتمل على مخزون نفسي كبير لدى المرأة، وفيها تراكم لخبراتها الإنسانية المتمازجة المتفاعلة عبر العصور (حنفي، د. ت، ص ١١- ١٤). وبذلك أصبحت الأغنية النسائية فناً ذاتياً معبراً عن وجدان المرأة، وامتداداً حقيقياً صادقاً لخصائصها عبر العصور، وأصبحت الأغنية كذلك من أوضح وأبسط وأقوى وسائل التعبير الإنساني (دويب،١٩٨٢، ص ٨).

وإذا أصاب مرض الرَّمد عيون الطفل فإن الأم تسارع إلى علاجه بأحد المستحضرات الشعبية، وتغني في شكل إلقاء إنشادي مخاطبة مرض الرمد أثناء علاج طفلها قائلة:

رَمَـــدِ العـــينْ بُـــوخِي بُـــوخِي خَلِّـــي العَيِّـــلْ وِاتْبَـــعْ الشْـــيُوخِي

رَمَـــدِ العـــينْ يـــا كَـــذَّابْ رُوحْ عَـــنِ العَيِّـــلْ لَلشِّـــيَّابْ

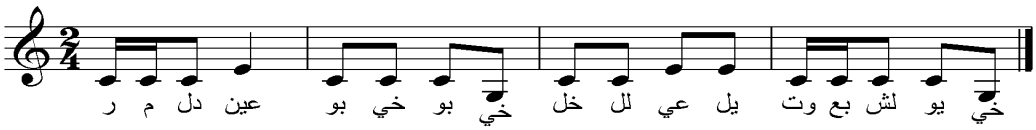

مدونة موسيقية رقم (٢)

أغنية رَمَدِ العينْ

الوظيفة السياسية: لقد استدعت الحاجة الوطنية والسياسية الاهتمام بالفنون الشعبية عامة، وكان للأغنية الشعبية دور بارز في حركات التحرر الوطني في مختلف بلدان الوطن العربي، فأصبحت الأغنية أرشيف الشعب وسجله الصادق المعبر عن عواطفه ومشاعره، ففيها تلخيص لحياته وبيان لمواقفه. ولم تكن الأغنية النسائية بعيدة عن هذا الدور، فقد أشارت هذه الأغنية فيما أشارت إلى بطولات الجنود على الجبهة مع تصديهم لأعداء الأمة والوطن، كما وثّقت في أعطافها كثيراً من المواقف السياسية لقيادة الوطن ورجالاته كما في النموذج التالي:

آهْ يَـــا يُمَّـــهْ شَـــرْدَانْ مَـــا رِيْـــدُهْ وَارِيـــدِ الشَّـــبْ الغـــاوِي بَارُودْتُـــهْ بِيْـــدُهْ

لَنَـــهْ رَمـــى وِانْتَخـــى رَاسْ القُـــومْ بِصِـــيْدُهْ وِيْـــرُدْ كِيْـــدِ العِـــدَا وْبَارُودْتَـــهْ بِيْـــدُهْ

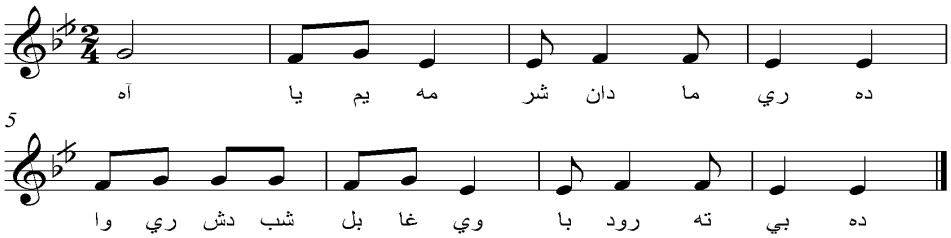

مدونة موسيقية رقم (٣)

أغنية آهْ يَا يُمَّهْ

الوظيفـة الدينيـة: تشارك المرأة الأردنية مع أطفالها وبخاصة في البادية والريف بأغاني الاستسقاء، ورجاء أم الغيث كناية عن القدرة الإلهية لينزل المطر وينقذ الزرع والضرع، من خلال أغان معبرة، تتضح فيها سمات الخضوع والترجي لله سبحانه وتعالى كما في النموذج التالي:

يَـــــالله الغـــــيثْ يـــــا دَايِـــــمْ تِسْـقِـــــي زْرِيعْنَـــــا النَّايِـــــمْ

تِسْقِـــــي زْريـــــعَ ابُـــــو مْحَمَّـــــدْ يَالْلِـــــي عَالْكَـــــرَمْ دَايِـــــمْ

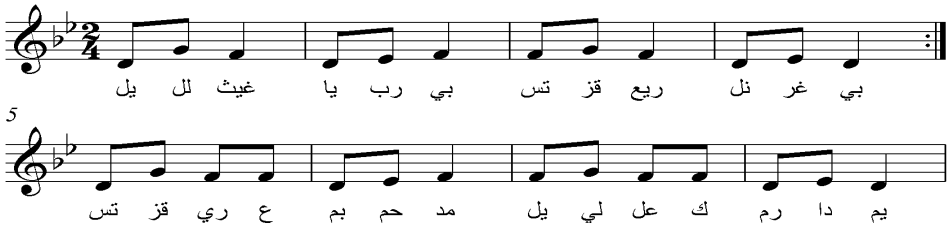

مدونة موسيقية رقم (٤)

أغنية يَالله الغيثْ

الوظيفة التربوية: تغني المرأة عادة أغانٍ خاصة لأطفالها لتهدئ من روعهم إذا ما فزعوا، وتعلمهم أغاني الألعاب الشعبية التي يقضون من خلالها أطول وأمتع الأوقات مع أصحابهم، وقد تغني الأم لطفلها عند تعليمه مهارة المشي كما في النموذج التالي:

حيـــــدُه اللـــــه اللـــــه حيـــدُه يـــا مَـــا شَـــا اللـــه

دَادِي اللـــــه اللـــــه دَادِي يَـــا مـــا شـــا اللـــه

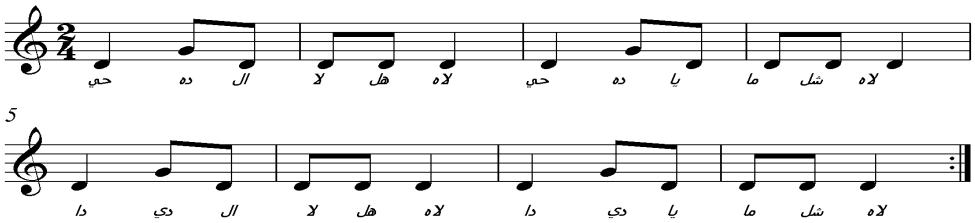

مدونة موسيقية رقم (٥)

أغنية حيدُو الله الله

الوظيفة الاجتماعية: لا شك أن الحياة الشعبية في الأردن قد أثَّرت في غناء المرأة الأردنية، فالحياة الاجتماعية البسيطة الخالية من التعقيدات انعكست على غناء النساء في الأردن، ولا سيما في بساطة ذلك الغناء وسهولته وارتباطه المباشر بالبيئة الجغرافية والاجتماعية الأردنية، وذلك ما يمكن تلمسه من خلال النموذج التالي:

طَـــــبِّ الفَـــــرَحْ دَارِنَـــــا يَـــــا مِـــــينِ يْهَنِّينَـــــا

والمِبغْضِـــــينْ ابْعَـــــدُوا عَنَّـــــا وَلا جُـــوْنَـــــا

والمِحِبِّـــــيْنِ كِلَهُـــــمْ اجُـــــوا يْهَنُونَـــــا

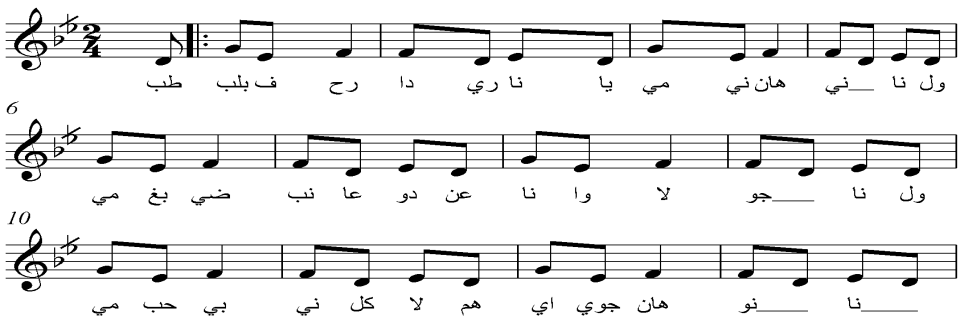

مدونة موسيقية رقم (٦)

أغنية طَبِّ الفَرَحْ

الخصائص الفنية لأغاني النساء

أولا: اللهجة العامية

لا يُعرف عن المرأة الأردنية أنها غنت أياً من أغانيها التراثية باللغة العربية الفصحى، وإنما استخدمت اللهجة العامية في كافة الأشكال الغنائية التي انتظمت فيها أغانيها، وذلك ضمن أوزان عروضية خاصة بتلك الأشكال التي تدركها المرأة وتلتزم بها التزاماً تاماً، مع التأكيد على أن ما تتضمنه تلك الأغاني من صور فنية وتشبيهات ومعانٍ ثرية لا تقل أهمية ولا قوة عما هي عليه في الشعر الفصيح، ونشير في هذا المجال إلى أن كل ما تغنيه المرأة الأردنية من أغانٍ تراثية يتم تناقله مشافهة من جيل لآخر دونما واسطة مكتوبة أو مسموعة (غوانمه، ١٩٩٧، ص ٢٣).

ثانيا: سيطرة اللحن على الوزن الشعري

لقد حرصت المرأة الأردنية على أن تغني كلمات أغانيها غناءً ملحناً، وذلك في كل الأشعار الغنائية التي استخدمتها، وحتى كلمات أغاني النواح الحزينة فإنها تحرص على أن تؤديها ملحنة بألحان ارتجالية تتناسب وطبيعة المقام. وقد وجد الباحث أن الألحان هي المسيطرة على الوزن الشعري لكل ما غنت المرأة الأردنية، فلكل قالب غنائي لديها لحن، واللحن يستمر حتى نهاية الأغنية، والنساء تنظم كلمات أغانيها على ذلك اللحن دونما زيادة أو نقصان.

ثالثا: صدق العاطفة

إن المتمعن في أغاني النساء التراثية في الأردن يلمس بوضوح صدق العاطفة النسائية في تلك الأغاني، فهي بعيدة عن التكلف والرِّياء والكذب، وهي وإن بالغت في تجسيد بعض صورها الفنية فإنها لا تَعْدُ أن تكون تصويراً دقيقاً أو تشبيهاً بليغاً للحظة من لحظات العمر التي

تعيشها المرأة الأردنية، سواء منها تلك اللحظات التي تعيش معها فرحها وبهجتها أو تلك التي تعيش معها حزنها وألمها.

رابعاً: البساطة والعفوية

تتسم أغاني النساء في الأردن بالبساطة والعفوية إضافة إلى ما تتسم به من التلقائية والتنوع، وهي تعبّر عن ذاتية المرأة وعلاقاتها الاجتماعية الإنسانية عبر المجتمع الأردني الذي يتميز بالترابط والتواصل ما بين مختلف شرائحه السكانية، وقد جاءت الأغاني النسائية في الأردن لتؤكد هذه المزايا من خلال كلمات بسيطة سهلة التركيب، ومألوفة التعبير، وقد ساعد في عفويتها أنها جاءت باللهجة العامية، ولا تخضع لقواعد الوزن والقافية التي نراها في الشعر العربي الفصيح.

خامساً: الأداء التكاملي

تعتمد أغاني النساء عادة على أسلوب المناوبة التجاوبية، أي تبادل الغناء بين مجموعتين من النساء وبخاصة عندما تغني النساء المُسِنَّات، فذلك يعطيهن فرصة للراحة وتذكر المقاطع الغنائية اللاحقة (أولسن، ٢٠٠٥، ص ٢١٣).

ويكاد يكون الطابع الجماعي التكاملي هو الشكل الأبرز الذي يسود أغاني النساء في الأردن سواء كان ذلك في الغناء ذاته أو في الرقصات المصاحبة لذلك الغناء، فدور الجماعة أو المجموعات التي تكمل بعضها بعضاً في الأداء هو الأساس في معظم أشكال وقوالب الغناء النسائي.

سادساً: تنوع الموضوعات

إن التنوع سمة بالغة الأهمية في أغاني النساء، ويمكن لنا أن نلمس ذلك التنوع في كثرة الموضوعات التي تطرقها أغاني النساء، فالمرأة لا تكاد تترك مجالاً من مجالات الحياة إلا وتعبر عنه بأغنية تخصه، كما أنه يمكن لنا أن نلحظ التنوع الواسع في ألحان أغاني النساء وكثرة الألحان التي انتظمت فيها تلك الأغاني.

موضوعات الأغنية النسائية وقوالبها

تتعدد الموضوعات والمناسبات التي تثير شجن المرأة الأردنية وتحرضها على الغناء، وهي تتنوع وتتجدد تبعاً لما يطرأ على دورة الحياة من تجدد الأحداث والنفوس، ومنها المناسبات

الاجتماعية كالزواج بمراحله المختلفة وبخاصة الخطوبة والزفاف، ومناسبات الطُّهُور (الخِتَان)، والمناسبات الدينية كالأعياد ورمضان والحج.

للمرأة الأردنية ألوان وقوالب غنائية خاصة بها مثل: أغاني المهد، والمهاهاة، والتراويد، والنواح وغيرها، كما أن لها أن تغني بعض قوالب الغناء الرجالي، فالمرأة البدوية الأردنية تغني: الهجيني والمردوف، والرّجيد، في حين تغني المرأة الريفية: الدّلعونا وزريف الطول والجفرة.

وقد وجد الباحث أنه يمكن تصنيف أغاني النساء التراثية في الأردن بحسب الموضوعات الرئيسية التي تناولتها والتي يمكن أن تدرجها على النحو الآتي:

أولاً: أغاني الأعراس

أغاني الأعراس هي أكثر أنواع الأغاني الشعبية انتشاراً بين النساء، ومرد ذلك أنها فرحة واعية، تزخر بالحب والغزل وما يرتبط بهما من موضوعات الحياة النشطة، وتتصدر أغاني الأعراس كل الأشكال المعروفة للأغنية الشعبية، فهي تلازم مناسبة جميلة تعتبر الأهم بين المناسبات في حياة الإنسان ألا وهي الزَّواج، التي يعتبرها الجميع المناسبة الأثرى بغنائها بين سائر الفنون الغنائية على الإطلاق، وذلك نظراً لتنوع أشكالها وقوالبها، وتعدد طقوسها وشعائرها التي تتوازى مع كل خطوة من خطوات الزواج بما يصاحبها من غناء، بدءاً من تعارف الشاب والفتاة ثم الخطبة، وتعاليل الزواج، والحناء، وحمّام العريس، والفاردة، والزّفة، والدّخلة، والصّمدة، والصّباحية وغيرها، والتي يمكن أن نبينها من خلال النماذج الغنائية التالية:

الخطبة:

مْـنِ الصَّـبُحْ للعَصْـرِ وحْنَـــــا مَشـــــينا مْـنِ الصَّـبُحْ للعَصـرْ

طيِّبـــاتِ الاصْـــلِ وِحْنـــــا خـــــذينا طيِّبَـــاتِ الاصـــلْ

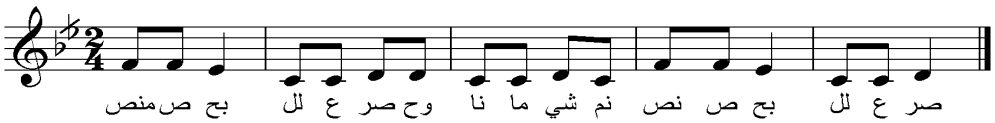

مدونة موسيقية رقم (٧)

أغنية مْن الصُبُحْ للْعَصْرِ

المهاهاة:

آ وِي هَـــا : الحَمِـــدْ للـــــه فِـــــرِحْ قَلْبِـــــي وْمَـــــا قَصَّـــــرْ

آ وِي هَـــا : وِانْفَـــــكْ عُقْـــــدِ المَحَبِّـــــهْ بَعِـــــدْ مَـــــا تْعَسَّـــــرْ

آ وِي هَـــا : وِحْيَـــــاةْ مَـــــنْ خَلَّـــــى نْجُـــــومِ ألليـــــلْ تِتْفَسَّـــــرْ

آ وِي هَــــا : وَانَـــــا مِــــــنْ زَمَــــانْ عَ هَـــــذا اليــــــومْ بَتْحَسَّــــــرْ

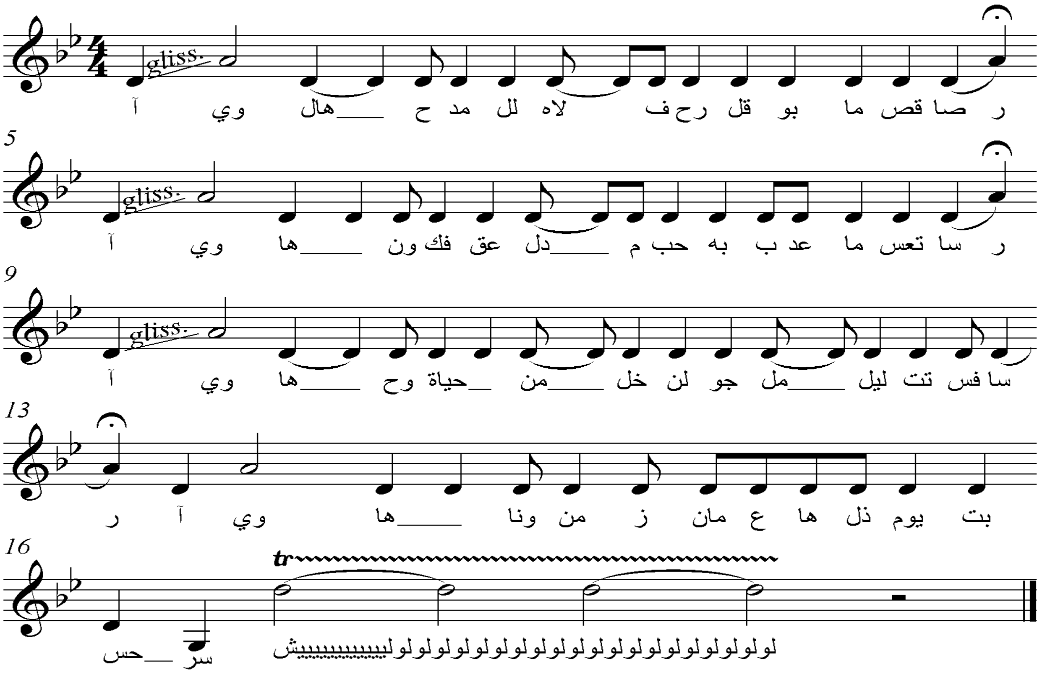

مدونة موسيقية رقم (٨)

نموذج من غناء المهاهاة

تَراوِيد الحِنَّـاء:

يـا امِّ شْـعيرَ اشْـقَرْ يـا (سْـلَيْمَهْ) يــــا امِّ شْـــعيرَ اشْـــقَرْ ياهيـــــهْ

قَلِّـــبْ وِتْفَكَّـــرْ يـــا (مْحَمَّـــدْ) قَلِّـــبْ وِتْفَكَّــــرْ يـــــا هيــــهْ

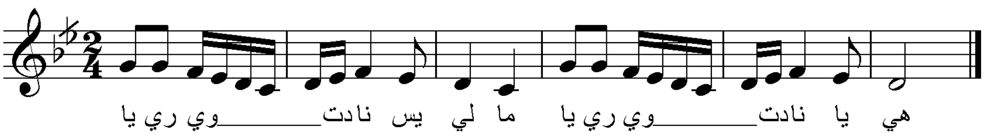

مدونة موسيقية رقم (٩)

أغنية حِنَّاكِ مْرَطِّبْ

الفَاْرْدِهْ:

شِـدِّي حْصَـانِكْ يـا (فْلانِـهْ) وْلا تِنْهَمِّـي حْصَانِي مَشْدُودِ وْقُدَّامِي أوْلادْ عَمِّي

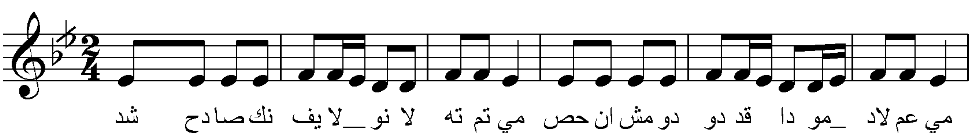

مدونة موسيقية رقم (١٠)

أغنية شِدّي حْصَانِكْ

أغاني زفة العريس:

بِـــــالوَّرِدْ وَالحنّـــــا رُشُّـــــوا الوَسَـــــايِدْ بِـــــالْوَرِدْ وَالحِنَّـــــا

يوخِـــــذُ وْبِتْهَنّـــــى قُولـــــوا لَمْحَمَّـــــدْ يوخِـــــذُ وْبِتْهَنَّـــــى

بِـــــالوَّرِدْ والرّيحَـــــهْ رُشُّـــــوا الوَسَـــــايِدْ بِـــــالْوَرِدْ وَالرّيحَـــــهْ

يوخِـــــذِ المَلِيحَـــــهْ قُولُـــــوا لَمْحَمَّـــــدْ يوخِـــــذِ المَلِيحَـــــهْ

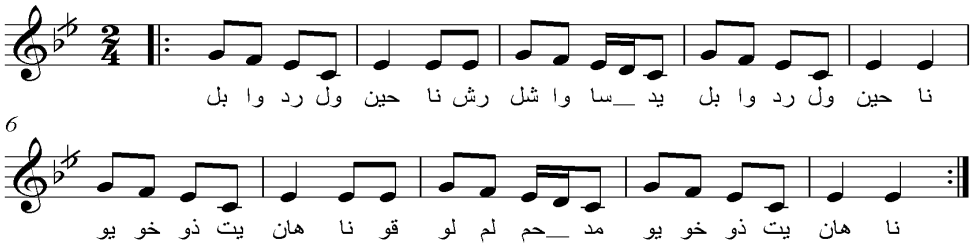

مدونة موسيقية رقم (١٣)

أغنية بِالوَّرِدْ وَالحنّا

الصَّمْدة والتجْلايَة:

جَلـّو العرُوسْ جَلـُّوها لا تستحو مْنَ ابُوهَا

وَابُوها شـــيخَ الدّولِـهْ وبْرَقْبَتُـه حَلْحُولِـهْ

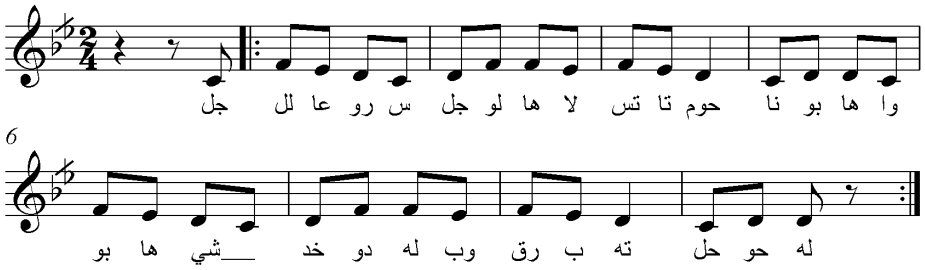

مدونة موسيقية رقم (١٤)

أغنية جَلّو العَرُوسْ

الصَّبَاحِيّة:

طيـرِ اخْضَـرْ عَ بَـدْلاَتِكْ يـا (فَاطْمِـهْ) طيـرْ مَبْرُوكَـهْ عَ حَمَاتِكْ هَادُوفِةْ خيرْ

طيرِ اخْضَرْ عَ قَمِيصِكْ يا عَرُوسْ طيرْ مَبْرُوكَـهْ عَ عَرِيسِكْ هَادُوفِةْ خيرْ

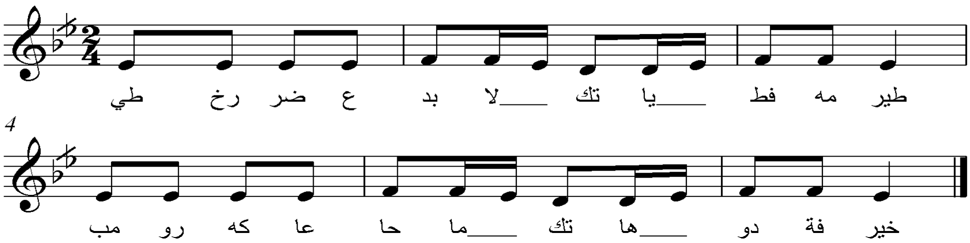

مدونة موسيقية رقم (١٥)

أغنية طيرِ اخْضَرْ

ثانياً: أغاني الأطفال

لقد حظي الأطفال باهتمام أمهاتهم منذ فجر الخليقة، وازدانت الأشعار والقصص والأخبار وطقوسها بتراويدهم، واكتنزت كتب التراث الشعبي بأغانيهم وألحانها البسيطة المعبرة، وكانوا حكاية وأغنية جميلة على لسان كل عصر، ومنبع كل ذلك هو أهمية الطفل ذاته في هذا الكون، فهو البذرة التي يزرعها والده في رحم الحياة، وترعاها أمه بالحب والحنان، لتديم معه صيرورة الحياة المتجددة. ومن المعتاد أن تبدأ النساء الغناء للأطفال منذ لحظات الولادة الأولى كما في النص التالي:

آ وِي هَـــا : جَابَـــــــــــــــــت وْقامـــــــــــــــــــتْ

آ وِي هَـــا : وْعَ فَـــــــراشِ الحَرِيـــــــــــرْ نَامَـــــــــتْ

آ وِي هَـــا : وِالحَـــــــــــمِـدْ للــــــــــه يــــــــا رَبِّـــــــــي

آ وِي هَـــا : سِـــــــــــــيدِ الصِّـــــــــــبْيانْ جَابَــــــــــتْ

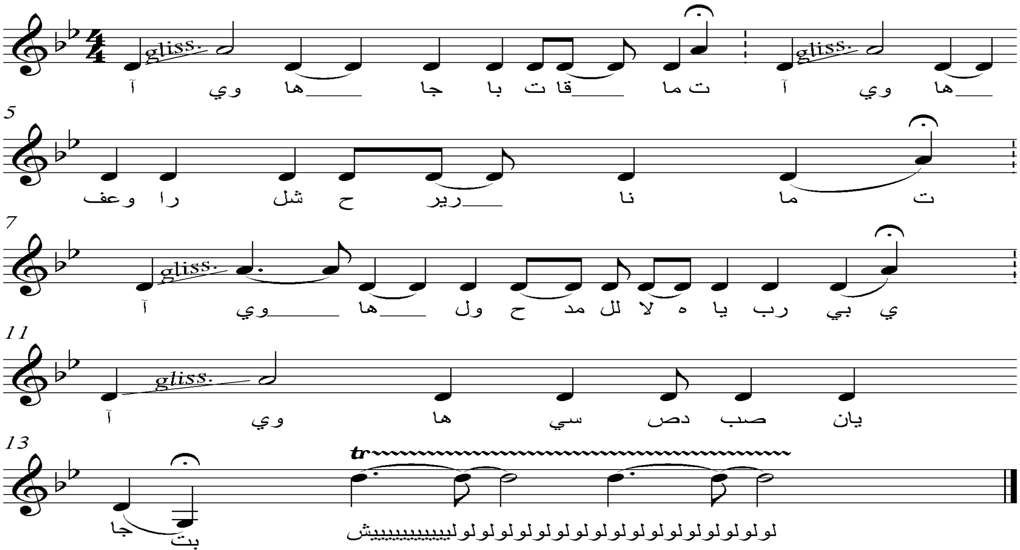

مدونة موسيقية رقم (١٦)

نموذج من غناء المهاهاة

ويمكننا في هذا المجال تناول شكلين أساسيين من أغاني النساء للأطفال هما: أغاني الهَدْهَدَة وتَرَاوِيْد الطَّهُور (الخِتَان):

أغاني الهَدْهَدَة: لقد أصبحت الأغنية النسائية الأردنية وعاءً تراثياً احتضن مراحل ومجريات حياة المرأة عبر السنين، وتعبيراً تلقائياً عن وجدانها الشفاف، وأصبحت علاقتها بأغيتها علاقة تفهم وإدراك واع للمعنى الإنساني والتاريخي الذي تمثله مضامين هذه الأغنية في شتى المجالات، فليس أبرّ من قلب أمّ تحنو على فلذة كبدها، وترعاه بلبن العزة والكرامة، وتمنحه العناية والرعاية ليكبر بين أحضانها على أنغام أغنيات جميلة كلماتها، عذبة ألحانها، لديها لكل مناسبة منها أغنية، فعند ولادة الطفل تهدهده الأم بين يديها بحركة هادئة حانية وتغني له وهي تضمه إلى صدرها وتداعبه بكل شوق وحنان:

ريتُـــــــــه وْريتُـــــــــهْ يِكْبَـــــرْ وِيْعَمِّـــــر بيتُـــــهْ

وِيْصِيـــرِ مْـنِ اصْحَـابِ الـــدُّور وِيْجِيـــــبِ الخيـــــرْ لَميمْتُـــــهْ

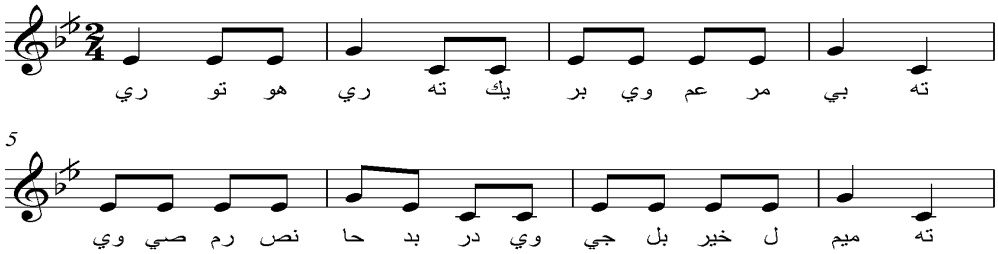

مدونة موسيقية رقم (٢٨)

أغنية ريتُه وْريتُهْ

وإذا كانت المولودة أنثى فإنها تدللها وتغني لها ما يؤكد دفاعها عن ابنتها، وهي تعرف أن المجتمع يفضل الأبناء الذكور على البنات (العمد، ١٩٦٩، ص ٥٩)، لكنها تبرر سر اهتمامها بهذه المولودة الأنثى قائلة:

والبَنَـــــــــات البَنَـــــــــاتْ رِيْقِهِـــــنْ سُـــــكَّرْ نَبَـــــاتْ

مِـــينْ تْقَشْـــقِشْ مِـــينِ تْحَطِّـــبْ مِـــــينْ تُحْلُـــــبِ العَنْـــــزَاتْ

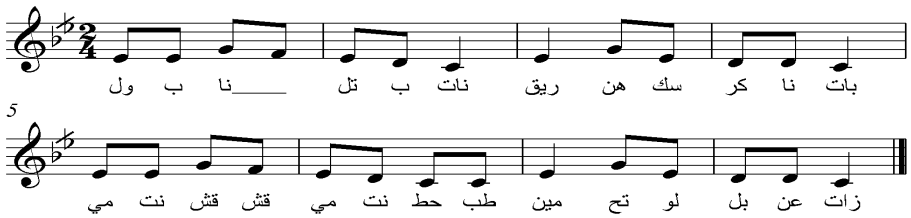

مدونة موسيقية رقم (٢٩)

أغنية والبَنَات البَنَاتْ

تَرَاوِيْد الطَّهُور (الخِتَان):

طَهْــرُهْ يــا شَــلَبِي وْنَاوْلُــهْ لامُّــهْ يــا دْمُوعُــهْ الغَالْيِــهْ نِزْلَــتْ عَلَــى كُمُّــهْ

طَهْــرُهْ يــا شَــلَبِي وْنَاوْلُــهْ لخَالُــهْ يــا دْمُوعُــهْ الغَالْيــه نِزْلَــتْ عَ خُلْخَالُــهْ

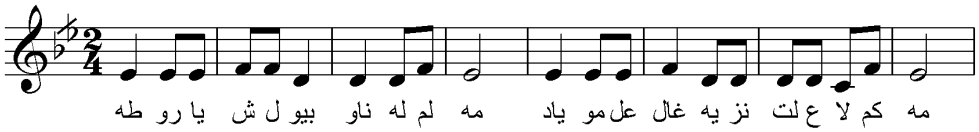

مدونة موسيقية رقم (١٧)

أغنية طَهْرُهْ يا شَلَبِي

ثالثاً: أغاني الحج

يحتفل الأردنيون بمناسبات تقليدية كثيرة منها المناسبات الدينية، ويغلب على هذا النوع من الاحتفالات طابع البساطة والاحترام لقدسية المناسبة موضوع الاحتفال، وقد سايرت الأغنيه الشعبية معظم المناسبات الدينية فاحتفلت بقدوم المناسبة ووقائعها وطقوسها المختلفة كما احتفلت بوداعها، ومثال ذلك الأغاني الخاصة بشهر رمضان والمولد النبوي الشريف والحج والعيدين.

يــا حَنِينِــي عَليكْ يــا حَجِّــي يــا غَــالِي يــا قَنْــدِيلِ الــذَّهَبِ بْمَكَّــه يْلالِــي

يــا حَنِينِــي عَليكْ يــا حَجِّــي يــا رُوحِــي يــا قَنْــدِيلِ الــذَّهَبِ بْمَكَّــه يْلُــوحِي

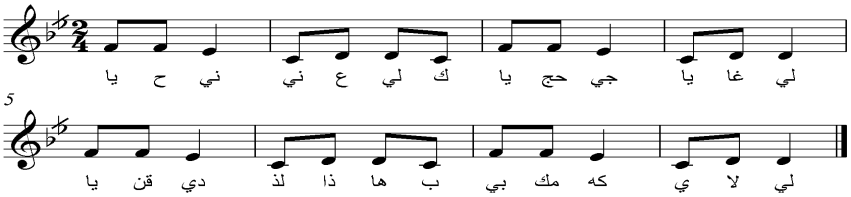

مدونة موسيقية رقم (١٨)

أغنية يا حَنِيني عَليكْ

رابعاً: أغاني العمل

منذ العصور القديمة والغناء يصاحب الإنسان ليعينه على مشاق العمل، ويرفه عنه، ويعطيه دفعة من الحيوية والنشاط لمواصلة الجهود المضنية في العمل، وللنساء في الأردن أغانيهن التي ترفع عن كاهلهن عناء العمل، وتخفف عن قلوبهن المشقة والهموم، فهن يشاركن في أعمال الزراعة وقطاف الثمار، وهن يتغنين ويتعاونَّ أثناء أعمال البناء أو الصيانة السنوية للمنزل، وكذلك الحال أثناء موسم الحصاد جنباً إلى جنب مع الرجال حيث يشتركن معهم في غناء النموذج التالي من أغاني الحصاد:

مِنْجَلِـــــي يـــــا مِـــــنْجَلاهْ رَاحْ لَلصَّـــــــــايِغْ جَـــــــلاهْ

مـــــا جَـــــلاهْ الاّ بْعُلْبَـــــــهْ ريـــــتْ هَالْعُلْبَـــــهْ عَـــــزَاه

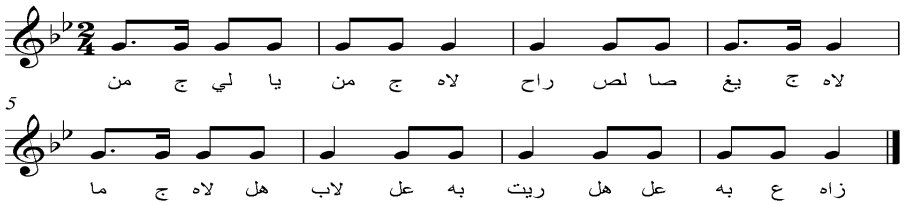

مدونة موسيقية رقم (١٩)

أغنية منجلي يا منجلاه

خامساً: أغاني الغياثات

غناء الغياثات غناء تراثي يقصد به الاستسقاء، وهو يُغنَّى كدعاءٍ من أجل الاستسقاء عندما ينحبس المطر، فقد جرت العادة – حينما تُمْحِل الأرض ويتأخر نزول المطر– أن تنطلق مجموعة من النسوة والأطفال عبر حارات القرية إلى ضريح أحد الأولياء الصالحين من أجل هذه الغاية، وفي أثناء المسير يغني الجميع بلحن بسيط غناءً موضوعه الأساس التضرع إلى الله طلباً لنزول المطر(الاستسقاء)، وخلال المسير تتوقف المجموعة عند بعض البيوت، وأمام البوابة يعاد الغناء، فيسمع أهل البيت الغناء فتبادر صاحبة البيت إلى ملء وعاء بالماء الطاهر وتقوم برَشّه على المجموعة أملاً وتفاؤلاً بنزول المطر.

بَاللـــــــهْ اسْـــــقُونَا بِالغِرْبَـــــالْ ريـــــــتِ وليـــــــدْكُو خَيَّـــــالْ

بَاللـــــــهْ اسْـــــقُونَا بالْمُنْخُـــــلْ ريـــــــتِ وليـــــــدْكُو يُـــــدْخُلْ

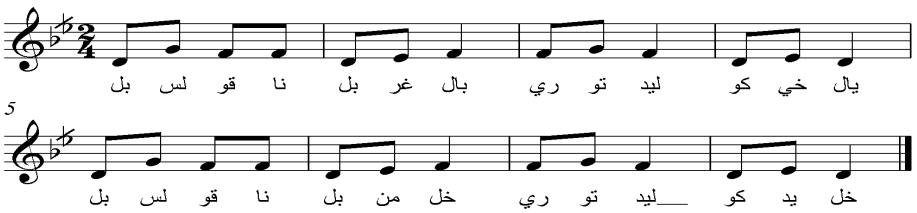

مدونة موسيقية رقم (٢٠)

أغنية بَاللهْ اسْقُونَا

سادساً: أغاني النُّواح (البُكائِيات)

تغني المرأة الأردنية أغاني البكائيات في المناسبات الحزينة كالموت، فهي أشد ما تكون حزناً على ولدها حين تفجع بموته، وتبقى حزينة عليه ما دامت حية، فما أن يُذكر اسمُه في أيَّة مناسبة أو حين يموت قريب لها حتى تتذكر ابنها وتعود للبكاء عليه من جديد، وكذلك الحال فيما لو كان الميت أخاها.

وقد كان من المعتاد أن تلحق النساء بموكب الجنازة خلف الرجال، وكانت تخرج قريبات الميت حافِيات ناثِرات لشعورِهن وربما مُمزِّقات لثيابِهن، وفي بعض الحالات مُشَحِّرات لِخدودِهن، ولطالما شكل الغناء الحزين ولطم الخدود الخلفية المكملة لتلك الصورة التراجيدية (الحسيني، ٢٠٥، ص ٢٤٢). وعند وصول موكب الجنازة إلى المقبرة، وترى النساء جموع رجال القرية على المقبرة، فإنهن يندبن بقولهن:

يا حَسْرَهْ عَ الحَمُوْلِـهْ صَبَّـحْ الدَّفـَّانْ يُدْفُـنْ

صَـبَّحَـتْ عَالْمَقْبَـرَهْ وِالْحَـرِيْـمْ مْعَفَّـرَهْ

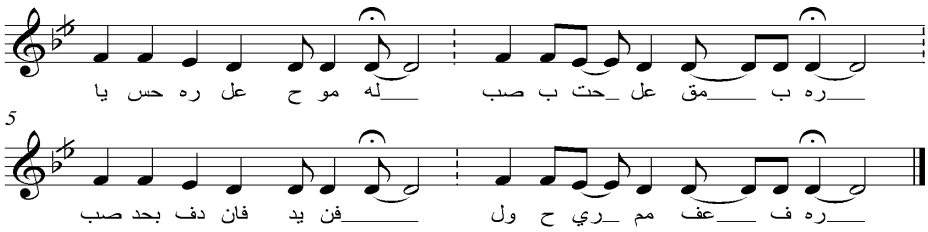

مدونة موسيقية رقم (٢١)

أغنية يا حَسْرَهْ عَ الحْمُوْلِهْ

تطور أغاني النساء التراثية

لقد تطورت أغاني النساء التراثية في الأردن عبر مراحل زمنية متوالية ساهم فيها الذوق العام للنساء، عبر الأجيال التي تشافهت هذه الأغاني التي عبّرت عن لسان حال المجتمع، فكانت مرآة صادقة لتقاليد الحياة وأنماطها. فبعد أن كانت الأغاني تراثية بالكامل مجهولة الملحن

والشاعر أضيف إلى الألحان التراثية نصوص غنائية جديدة على ذات الألحان معروف شاعرها ومغنيها.

ثم تطورت الأغاني وصيغت شعراً ولحناً على نمط أغاني التراث أي أنها جددت في الكلام واللحن مع التزامها التام بذات القضايا المجتمعية، فأصبحت تشكيلاً فنياً جديداً لتلك الأغاني وأصبحت أوسع وأشمل في معانيها ومفرداتها القريبة جداً من المفردات التراثية مع تميزها بمزيد من الحرية الشعرية واللحنية المنسوجة نسجاً جديداً لكنها لا تتعارض مع ملامح التراث وخصائصه.

وبعد ذلك انتقلت الأغنية النسائية الأردنية إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الأغنية الفنية المعاصرة المتجددة تماماً في الشكل اللحني والغنائي. واتسمت بنهج وأسلوب أدائي جديد، بحيث أصبح لها مطربة محترفة تؤدي الأغنية بمصاحبة فرقة موسيقية وكورال، وربما دخل في بعضها لمسات التوزيع الموسيقي بمرافقة الآلات الموسيقية الحديثة، مع احتواء أشعارها على تراكيب شعرية معاصرة واكبت روح العصر، ومع كل ذلك التطور بقيت الأغنية النسائية الأردنية محافظة على روح الأصالة الممزوجة بالمعاصرة سواء في كلماتها أو ألحانها أو أدائها. ونذكر من رواد هذه المرحلة التجديدية في الأغنية الأردنية الفنانين توفيق النمري، وجميل العاص، وإميل حداد، وروحي شاهين، الذين قدموا للمطربات والمطربين الأردنيين والعرب الكثير من الألحان الجميلة.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث فإنه يمكننا القول بأن أغاني النساء هي السجل الوافي لحياة المرأة الأردنية لا بل هي السجل الوافي لحياة الإنسان الأردني عموماً، إنها أغان قوية وذات قيمة تاريخية، وإنسانية بالغة، وتزداد هذه الأهميه عمقاً وأثراً في حياتنا إذا ما تملكنا فهم معانيها وأبصرنا بعد مراميها، وأحطنا بمقاصد المرأة التي صاغتها بإحساس المرأة الإنسانة لا بإحساس المرأة الشاعرة.

إن كثيراً من أغاني النساء في الأردن ظلت حية وحيوية على الرغم من تقلبات الظروف والأحوال، ذلك أن جريانها على الألسن والشفاه هو بمثابة جريان الدّم في العروق، حيث تدركها النفس قبل أن تدركها الحواس، ولا سيما إذا ما اتصفت تلك الأغاني بالأداء الشجي، والصوت النسائي العذب، والتعبير الإنساني المخلص.

نتائج البحث

في ضوء هذه الدراسة المتعمقة لأغاني النساء في الأردن فقد توصل الباحث من هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- انفردت النساء في الأردن بغناء عدد من القوالب الغنائية الخاصة بهن مثل: المهاهاة، وتراويد العروس، وتراويد الطَّهور، وأغاني الفاردة والصَّمدة والتِّجلاية، والصباحيّة، وأغاني النُّواح، كذلك فقد نافست الرجال في غناء عدد من القوالب الغنائيه الأخرى.
- تكونت الأغنية النسائية الأردنية من أربعة مكونات هي: الكلمة، واللحن، والإيقاع، والأداء.
- اشتملت الأغنية النسائية الأردنية على عدة موضوعات صاغتها عبر اشكال غنائية متعددة من أهمها: أغاني الأعراس، وأغاني الأطفال، وأغاني العمل، وأغاني الحج، وأغاني الاستسقاء، وأغاني النواح.
- أدَّت المرأة الأردنية أغانيها بمصاحبة بعض الآلات الموسيقية الشعبية اللحنية النفخية مثل الشبابة والمجوز واليرغول، وبعض الآلات الإيقاعية مثل الطبلة (الدُّرْبُكَّة).
- أدَّت الأغنية النسائية الأردنية مجموعة من الوظائف الإنسانية منها: الاجتماعية، والنفسية، والسياسية، والدينية، والتربوية.
- اتَّصفت الأغنية النسائية بمجموعة من الخصائص الفنية من أبرزها: اللهجة العامية، وسيطرة اللحن على الوزن الشعري، وصدق العاطفة، والبساطة والعفوية، والأداء التكاملي، وتنوع الموضوعات.
- تطورت الأغنية النسائية الأردنية عبر عدة مراحل من حيث الكلمات والألحان، وتحررت من بعض القيود التراثية إلا أنها بقيت وفية في مضمونها وموضوعاتها كروح الأصالة الممزوجة بالمعاصرة.

التوصيات:

في ضوء مجريات هذه الدراسة الوصفية التحليلية لأغاني النساء والنتائج التي توصل إليها الباحث فإنه يوصي بما يلي:

- ضرورة جمع وتصنيف وتوثيق أغاني النساء كافة في الأردن والوطن العربي للمحافظة عليها من الضياع والاندثار والتحريف.
- إجراء دراسات موسيقية تخصصية متعمقة في كل مجال من مجالات الأغنية النسائية العربية وبخاصة موضوعاتها، ووظائفها، ومكوناتها، وميزاتها.

- إفراد مساق دراسي متخصص بأغاني النساء لطلبة الكليات والمعاهد والأكاديميات الموسيقية العربية.
- الاستفادة من كلمات وألحان أغاني النساء في صياغة أعمال فنية موسيقية وغنائية جديدة تُوائم بين عنصري الأصالة والمعاصرة.

معاني الكلمات الواردة في البحث:

- **أوضَهْ:** غُرفة.
- **بُوخِي:** أُفْسُدِي، بَاخَ، بُوخَ: فَسَدَ.
- **حَلْحُولِه:** بيده الحَل، حَلْحَلَ بمعنى فَكَّكَ.
- **حليفي:** عضيدي.
- **الحَمُولِهْ:** العشيرة.
- **الرَّمَد:** مرض يصيب العيون.
- **رَوَاعِيدُهْ:** جمع رعد وهي الصوت غير العادي/ العالي، انذاراته.
- **شَبِّق رْدونَك:** ارفع أردان ثوبك (كناية عن الكرم).
- **شردان:** جبان يهرب من المعركة.
- **الشَّبِّ الغَاوِي:** الشَّاب العاشق.
- **الشَّلَبِي:** الشخص المختص الذي يقوم بعملية الطَّهُور (الختان).
- **الشيخان:** أحد النجوم.
- **طَبّ:** نَزَلَ، حَلّ.
- **العَيِّل:** الطِّفل الصَّغير.
- **الغِيْث:** المطر.
- **لنُّه رمى:** إن رمى.
- **الوَسَايِد:** جمع وسادة وهي المخدَّه.
- **ولا جونا:** لم يحضروا إلينا.
- **يْلالِي:** يَتَلألأ.

المراجع

- أبو الرب، توفيق (١٩٨٠)، دراسات في الفلكلور الأردني، جمعية عمال المطابع الأردنية، عمان، الأردن.
- أبو سمرة، محمد (١٩٨٨ م)، الأغاني الشعبية في الأردن وفلسطين، عمان، الأردن.
- أولسن، بول روفسنج (٢٠٠٥م)، الموسيقا في البحرين، ترجمة فاطمة الحلواجي، وزارة الإعلام، المنامة، البحرين.
- حجاب، نمر (٢٠٠٣)، الأغنية الشعبية في مدينة عمان، أمانة عمان الكبرى، عمان، الأردن.
- الحسيني، عيسى خليل (٢٠٠٥م)، دراسات في الفلكلور الشعبي الفلسطيني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- حمام، عبد الحميد (١٩٨٣)، الموسيقا والمجتمع في الأردن (٢)، بحث منشور، مجلة أفكار، العدد ٦٣، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الأردن.
- حنفي، حسن (د.ت)، التراث والتجديد، مكتبة الجديد، تونس.
- الدراس، نبيل (٢٠٠٤)، المهاهاة في الغناء الشعبي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد العشرون، العدد الثاني.
- دويب، رفعت محمد خليفة (١٩٨٢)، أغاني الأعراس في دولة الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، دبي.
- العمد، هاني (١٩٩٦)، الأدب الشعبي في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن، عمان، الأردن.
- العمد، هاني (١٩٦٩)، أغانينا في الضفة الشرقية من الأردن، دائرة الثقافة والفنون، عمان، الأردن.
- غوانمه، محمد (١٩٩٧)، الأهزوجة الأردنية، مطبعة الروزنا، إربد، الأردن.
- لاما، باتريك (١٩٨٩)، الموسيقي الشعبية الفلسطينية (ترجمة شفيقة مطر)، منظمة التحرير الفلسطينية، عمان، الأردن.
- المنزلاوي، عبد الله (١٩٩٣)، التراث الشعبي في العقبة، جمعية أبناء العقبة الخيرية، جمعية عمان المطابع التعاونية، عمان، الأردن.
- نابلسي، عباس (٢٠٠٠)، الموسيقا والغناء (حدث المرأة)، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان.

- النمري، توفيق (١٩٨٢)، الأغنية العربية، مقال منشور، مجلة الموسيقا العربية، المجمع العربي للموسيقا، بغداد، العراق.
- النوايسه، نايف (١٩٩٧)، الطفل في الحياة الشعبية الأردنية، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
- يونس، عبد الحميد (١٩٨٧)، الإبداع الشعبي، مجلة المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج، الدوحة، قطر.